ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

الاستقلال والاستفتاء الكردي.. هذه هي الصورة!

عادل الجبوري

تتطلب مجمل خطوات استقلال وانفصال اقليم كردستان عن العراق، ومن بينها –او في مقدمتها- اجراء الاستفتاء- توفر بيئات داخلية واقليمية ودولية مناسبة، من شأنها ان تحول المدخلات (الامنيات والطموحات) الى مخرجات واقعية على الارض تنعكس ايجابا على الاكراد، ولا تفرز ازمات ومشاكل من نوع جديد، وتعمق الصراعات والتقاطعات القائمة.

حتى الان لا تبدو الامور مشجعة كثيرا بالنسبة للاكراد، فاذا كانت المواقف الوطنية والاقليمية والدولية حيال رغبات الاكراد بالاستقلال والانفصال غير واضحة وتحيط بها الضبابية في السابق، فان قيام رئيس اقليم كردستان مسعود البارزاني بتحديد الخامس والعشرين من شهر ايلول-سبتمبر المقبل لاجراء الاستفتاء، دفع مختلف الاطراف للتحدث بوضوح غير مسبوق، وصراحة غير متوقعة عما تراه وتتصوره، سواء انطلاقا من مصالحها الخاصة، او وفق قراءاتها لحقائق الواقع وتعقيداته.

لا شك ان الحديث عن الاستقلال وانفصال اقليم كردستان يتطلب اول ما يتطلبه، وجود موقف كردي موحد ومتماسك، يشكل ارضية قوية ورصينة للتفاوض مع الاخرين واقناعهم بواقعية المطالب والطموحات الكردية وليس بشرعيتها فقط.

ولعل التساؤل الذي يطرح نفسه هنا هو: هل يوجد بالفعل موقف كردي (عراقي) في ادنى تقدير موحد ومتماسك حيال موضوعات الاستقلال، ومن ضمنها الاستفتاء الذي دعا اليه البارزاني؟.

مجمل المعطيات والمؤشرات والحقائق لا تقول بذلك.

فخلال العامين الاخيرين تعرض المشهد الكردي العام لتصدعات واهتزازات كبيرة جدا، لا على الصعيد السياسي فحسب، وانما على الصعيد الاقتصادي ايضا، ناهيك عن التحديات الامنية التي افرزها ظهور تنظيم داعش الارهابي، على مرمى حجر من الاقليم.

سياسيا، يطعن طيف سياسي، له مساحة جماهيرية يعتد بها، بشرعية الرئيس مسعود البارزاني، ويتحفظ ويعترض كثيرا على منهجية ادارة شؤون الاقليم التي يتحكم بها الى حد كبير الحزب الديمقراطي الكردستاني، مثلما يزعم خصومه في حركة التغيير (كوران)، والجماعة الاسلامية، وبعض -أو جزء كبير- من حزب الاتحاد الوطني الكردستاني، بل هناك من يقول ان حزب البارزاني نفسه يشهد في مستوياته القيادية العليا اختلافات خفية، قد تكون حادة وخطيرة احيانا، حول مجمل سياسات الحكم والادارة في الاقليم.

وقد يختزل ما قالته النائبة عن الاتحاد الوطني الكردستاني الاء طالباني صورة المشهد الكردي، عندما ذهبت الى «ان بارزاني وحزبه يمارسون سياسة التمويه والاستغفال امام الشعب الكردي في مسألة الاستفتاء».

والسلطة التشريعية، المتمثلة ببرلمان الاقليم، معطلة، منذ اكثر من عام ونصف العام، بسبب الخلافات السياسية، وعدد من وزراء الحكومة التي يترأسها نيجرفان البارزاني، نجل شقيق رئيس الاقليم وزوج ابنته، ارغموا على ترك مناصبهم، او هم تركوها انسجاما مع مواقف الاحزاب والقوى السياسية التي ينتمون اليها.

وكذلك فان الاختلافات والتقاطعات البينية في داخل منظومات الاحزاب الكردية - ويمكن ان يكون حزب الاتحاد الوطني الكردستاني، خير دليل ومصداق على تلك الاختلافات والتقاطعات الداخلية- تعرقل وتعقد بلورة موقف كردي موحد وناضج.

أضف الى ذلك فان التواجد العسكري والسياسي لاحزاب كردية غير عراقية على اراضي اقليم كردستان، مثل حزب العمال الكردستاني التركي المعارض(P.K.K))، وخلافاتها وصراعاتها مع احزاب وقوى كردية عراقية، يعد عاملا اخر لا يساعد في الذهاب بقضية الاستقلال الى الامام.

العبادي: الاستفتاء الكردي في هذا الوقت غير موفق

هذا على الصعيد السياسي، اما على الصعيد الاقتصادي، فان الحال في الاقليم لا يبعث على التفاؤل، في ظل الازمات المالية الخانقة، وعجز الحكومة عن تسديد رواتب الموظفين والمتقاعدين بصورة منتظمة، وتراجع حركة الاسواق التجارية، وانحسار فاعلية وديناميكية القطاع الخاص، وارتباك الخدمات الاساسية، حتى ان البعض في الاقليم وليس من خارجه يتساءل، كيف لنا ان نحول الاقليم الى دولة مستقلة وحكومتنا عاجزة عن توفير الحد الادنى من متطلبات واساسيات العيش الكريم، وديونها المستحقة للشركات النفطية وغير النفطية تكاد ان تصل -حسبما يقال- الى ثلاثين مليار دولار؟!.

ومن زاوية أخرى، وفيما يتعلق بالحكومة الاتحادية في بغداد، والتي يؤكد الاكراد ان كل خطوة يتخذونها بخصوص الاستقلال لا بد ان تكون بالتنسيق والتفاهم والتشاور مع بغداد، فانها رأت على لسان رئيسها حيدر العبادي أن خطوة الاستقلال والاستفتاء الكردي غير صحيحة، اذ قال في تصريحات صحفية في الثالث عشر من شهر حزيران-يونيو الجاري «ان أي جزء من العراق لديه تطلعات، ولديه حلم، ونحن نحترم ذلك، حتى ولو نختلف معه، فهذا حق، لكن نحن نعيش في وطن واحد شركاء. لدينا دستور صوتنا عليه جميعا، ولدينا برلمان اتحادي وحكومة اتحادية، وان الاستفتاء الكردي في هذا الوقت غير موفق».

ويعضد الموقف الحكومي الرسمي، مواقف مختلف القوى السياسية، لا سيما الرئيسية صاحبة الثقل الاكبر جماهيريا، حتى تلك التي تربطها بالاكراد علاقات تاريخية جيدة، وهو ما قوبل باستياء وغضب من قبل المتبنين لمشروع الاستقلال والانفصال.

وحينما ننتقل الى الدائرة الاقليمية، نجد مواقف رسمية واضحة من قبل طهران وانقرة، اللتين تمثلان القوتين الاكبر اقليميا، فضلا عن ان الملف الكردي باطاره العام يعنيهما الى حد كبير، لاعتبارات واسباب عديدة، لعل في مقدمتها ان الاكراد يمثلون جزءا من النسيج الاجتماعي، وكذلك جزءا من الواقع السياسي فيهما.

فالخارجية التركية وصفت قرار اجراء الاستفتاء بأنه «خطأ فادح، وان الحفاظ على وحدة الأراضي العراقية ووحدته السياسية من أهم المبادئ الأساسية لسياسة تركيا في العراق، وان الحكومة التركية تعبر عن قلقها حيال هذا القرار»، علما ان البارزاني يرتبط بعلاقات طيبة مع انقرة، وهي تعد احد ابرز الاطراف الاقليمية الداعمة له.

وبنفس المضمون تحدثت وزارة الخارجية الايرانية على لسان المتحدث باسمها بهرام قاسمي، اذ صرح قائلا «إن طهران ترفض بشدة مساعي الأكراد في العراق لإجراء استفتاء شعبي للاستقلال، وتعارض أي خطوة من شأنها أن تجزئ العراق، وان الأكراد يشكلون جزءا مهما من العراق، وإنهم وفي إطار السيادة الوطنية وسلامة الأراضي العراقية لديهم حقوق تم إدراجها في الدستور العراقي».

وهكذا بالنسبة لجامعة الدول العربية ومنظمة الامم المتحدة والاتحاد الاوروبي، والولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وروسيا والمانيا، فكلها تحدثت صراحة، واوصلت رسائل واضحة الى القيادات الكردية، اما عبر سفرائها وممثليها الدبلوماسيين، او من خلال منابرها السياسية والاعلامية، او بواسطة قنواتها الخاصة.

وربما كان الاكراد يعولون كثيرا على دعم ومساندة حلفائهم واصدقائهم الاقليميين والدوليين، بيد انهم فوجئوا بالمواقف الرافضة بشدة لتوجهات الاستقلال واجراء الاستفتاء، وهذا ما يحتم عليهم اعادة قراءة الواقع بطريقة اكثر واقعية وموضوعية، وهم قد يستحضرون تجارب سابقة مؤلمة لهم مع هؤلاء الحلفاء والاصدقاء، مثل الخذلان الاميركي للثورة الكردية في عام ١٩٧٥.

ويبدو ان الاكراد شعروا بالحرج ازاء تلك المواقف والتوجهات السلبية بالنسبة لهم، لذا اطلقوا تصريحات «تهدئة وتطمين» مثلما قال القيادي في الحزب الديمقراطي الكردستاني ورئيس اللجنة العليا لاجراء الاستفتاء هوشيار زيباري «إن التصويت المتوقع بنعم في الاستفتاء على استقلال الكورد سيعزز موقف إقليم كردستان العراق في المفاوضات مع بغداد لكنه لن يؤدي إلى انفصال عن العراق بشكل تلقائي، ولن يعني أن يضم الكورد منطقة كركوك الغنية بالنفط أو ثلاث مناطق أخرى متنازع عليها الى اراضي الاقليم».

الاستقلال ابعد من قرار تتخذه القيادات الكردية وتطمح الى ترجمته على الارض

وهناك تساؤلات واستفهامات ذات طابع فني، وتنطوي على ابعاد سياسية مهمة وحساسة، تفرض نفسها وتحتاج الى إجابات من الاكراد المنادين بالاستقلال والانفصال والاستفتاء قبل غيرهم، من قبيل، ما هو الموقف من الاكراد القاطنين في مدن العراق المختلفة في الوسط والجنوب؟ وما هو الموقف من «الاكراد الفيلية» الذين يشكلون ثقلا اجتماعيا كبيرا، ويتوزعون في مدن ومناطق مختلفة اغلبها خارج نطاق الإقليم؟ وما هو الموقف من أبناء القوميات الأخرى -غير الكردية- مثل العرب والتركمان والشبك، المتواجدين في إقليم كردستان؟ وما هو الموقف من المناطق المتنازع عليها، وهي غير قليلة وتشتمل على ثروات هائلة، وتحمل بين طياتها وجنباتها من المشاكل والأزمات الشيء الكثير؟.

ان الاستقلال ابعد من قرار تتخذه القيادات الكردية وتطمح الى ترجمته على الارض، والاستفتاء أوسع من القول نعم او لا، والخروج بنتيجة تبدو محسومة من حيث الأرقام، بيد انها ليست كذلك من حيث النتائج والمآلات!.

عن الصراع الاستراتيجي على الحدود السورية – العراقية

شارل أبي نادر

ليس صدفة ان يستشرس الاميركيون ويكشروا عن أنيابهم لدرجة الانغماس بشكل مكشوف في المواجهة العسكرية في سوريا مباشرة، بعد ان كانوا، وخلال كامل فترة الحرب على تلك الدولة، يقاتلون لرسم معادلاتهم ولفرض اجنداتهم بالواسطة، من خلال العديد من الدول الاقليمية والمجموعات المسلحة الارهابية او غير الارهابية، التابعة والمرتهنة لهذه الدول، هذه المجموعات التي سلحوها هم طبعا او التي سُلِّحت برعايتهم وبموافقتهم، وليس صدفة ايضا ان يقدم الجيش العربي السوري، مدعوما من محور المقاومة، جهودا و قدرات و تضحيات ضخمة للوقوف بوجه تلك الاجندات الاميركية والغربية والاقليمية ... فاين تكمن اهمية ما يجري في سوريا اليوم وخاصة لناحية السيطرة على الحدود العراقية – السورية، ولماذا يأخذ هذا الحراك العسكري والميداني والاستراتيجي هذه الابعاد الحساسة والدقيقة والمصيرية

عسكريا

يخوض الجيش العربي السوري حالياً معركة واسعة في اغلب محاور الشرق، هدفه طبعا محاربة داعش وطرده من الاراضي السورية ونشر وحداته وقواه في كافة المواقع والثكنات والقواعد العسكرية، وبسط سيادة الدولة وتحرير المدن والبلدات السورية حيث يسيطر التنظيم الارهابي ويقوض اسس السلطة الرسمية ومؤسساتها، ويفرض على الشعب السوري المظلوم نظاما ارهابيا متسلطا، والهدف ايضا فك الحصار عن مدينة ومطار دير الزور وتخليص وحدات الجيش والدفاع الوطني هناك والمواطنين من الحصار والضغط العسكري العنيف، وغيرها من الاهداف العسكرية التي تثبّت وتُدَعّم معركة الدولة والجيش بوجه الارهاب وبوجه من يرعاه.

ميدانيا

بمجرد النظر الى خارطة الشرق

السوري، ما بين العاصمة دمشق وامتدادا الى البادية شرقا، ومن الاخيرة جنوبا او شمالا، نستطيع ان نفهم ما هي القيمة الجغرافية والميدانية للوصول الى الحدود السورية - العراقية، وحيث يكتمل التواصل مع العراق جغرافيا، يمكن حينها القول ان داعش قد ضُرب في وسط انتشاره الحيوي الممتد على ضفاف نهر الفرات من غرب الانبار حتى الرقة، مرورا بالقائم والبوكمال والميادين ودير الزور، وحينها يفقد التنظيم عمقه الاستراتيجي الذي شكل اساسا لدولته المزعومة، وسيخسر بالطبع مقومات صموده الجغرافية والميدانية، والتي هي حتى الان مؤمنة الى حد ما بالرغم من خسائره المتدحرجة في العراق وفي سوريا.

استراتيجيا

هنا بيت القصيد في الحرب التي شنت على سوريا بالاساس، وحيث يختلط الامر على كثيرين ممن يرون ان الولايات المتحدة تحارب الارهاب وتعمل لتدمير وهزيمة تنظيم داعش، وتقود تحالفا دوليا تحت هذا العنوان، تجمع من خلاله العديد من الدول الغربية والاقليمية، يفضل جميع هؤلاء عن مناورة خلق داعش وزرعه في تلك البقعة الاستراتيجية من الشرق ما بين سوريا والعراق، ويتعامى هؤلاء عن التواطؤ وغض النظر حين كان داعش ينمو ويتمدد ويتسلح ويتمول امام اعين اغلب دول هذا التحالف، وامام اعين اجهزته الامنية والمخابراتية «الذكية»، وتحت نظر اقماره الاصطناعية وقدراته المتطورة في الرصد والتصوير والتنصت والمراقبة الجوية.

طبعا الهدف ليس خلق داعش وزرعه حيث تمدد وانتشر، فالتنظيم كان وسيلة استثمرت واستغلت لتركيب اجندة وخلق معادلة بدأت تتوضح نقاطها كالتالي:

ميدانيا، لخلق حاجز جغرافي يفصل العراق عن سوريا، وبالتالي لقطع الترابط ولعزل كل من الدولتين عن الأخرى، وطبعا لاضعافها في مواجهة الارهابيين ومخططات التفتيت، وتلقائيا لقطع تواصل دول محور المقاومة.

اقتصاديا، اولا في سلخ مكامن الثروة الوطنية من كل دولة على حدى عبر تشتيت حقول النفط والغاز واخراجها من سلطة حكومتي الدولتين، وثانيا في افقاد كل من العراق وسوريا الميزة الاقتصادية في ربط اسواقهما المشتركة، وامتدادا الى اسواق ايران ولبنان، وثالثا في انتزاع قدرة كل من سوريا او العراق على التحكم بالمشاريع المرتقبة لخطوط الغاز والنفط الاستراتيجية في الشرق بشكل عام.

ديبلوماسيا، عند خلق حاجز جغرافي بين البلدين يضعف بطريقة تلقائية الموقف الديبلوماسي الموحد، وحيث تفقد كل من الدولتين ميزة الاستفادة من نقاط التأثير والمواجهة المشتركة، يصبح حينها، اي ضغط اقليمي او غربي دولي على العراق او على سوريا، مؤثرا وفاعلا اكثر من حالة وجود موقف ديبلوماسي مشترك وموحد بين الدولتين .

الصراع مع «اسرائيل»، ربما يكون هذا العنوان من اكثر النقاط اهمية وحساسية في اهداف خلق داعش لضرب دول محور مواجهة العدو الاسرائيلي، وحيث اثبتت الايام والتطورات ان اغلب الدول المنغمسة في تسعير حرب الارهاب على سوريا، تمويلا وتحريضا وتسليحا ومؤازرة دولية وديبلوماسية، هي من اصحاب العلاقات السرية السابقة مع العدو الاسرائيلي، وهم من مؤيدي التطبيع المهين مع العدو، وها هم اليوم يتسابقون على الفوز بنعمة السلام مع «اسرائيل»، ويشكلون رأس حربة في الهجوم على ايران والمقاومة في لبنان وسوريا، اعلاميا وديبلوماسيا، او حتى من خلال التورط المباشر في عمليات ارهابية نفذت وتنفذ في لبنان وايران والعراق .

المحور الذي صمد توسع وسينتصر

غالب قنديل

الكلمة التي يلقيها قائد المقاومة السيد حسن نصرالله سنويا في احتفال يوم القدس العالمي الذي ينظمه حزب الله تمثل دائما محطة متجددة سياسية وتعبوية وتنويرية محورها قضية فلسطين التي تتعرض منذ عقود إلى عمل منظم لتصفيتها وطمسها ودفعها بعيدا عن اهتمام الرأي العام العربي وعن وجدانه ووعيه الجمعي لكن خطاب السيد هذه السنة كان تقريرا شاملا عن محور المقاومة انطلاقا من فلسطين.

أولا ينطلق قائد المقاومة من الحقيقة العلمية التي اكدتها التجارب وهي ان فلسطين هي محور حاسم في الصراع الذي تخوضه شعوب المنطقة وبلدانها ضد هيمنة الحلف الاستعماري الصهيوني الرجعي وقد تضمنت كلمة السيد هذه السنة عرضا إجماليا لمسارات النضال الذي يخوضه ما عرف بمحور المقاومة في المنطقة ضد الغزوة الاستعمارية الصهيونية الرجعية التي انطلقت لتنشيط العمل على تصفية قضية فلسطين بعد هزائم الكيان الصهيوني المتلاحقة ولتكريس تسويات تتكفل بتثبيت الهيمنة الغربية الصهيونية على الشرق الهدف الذي سعت إليه الولايات المتحدة منذ حوالي نصف قرن وهو أشار إلى ارتباط الحروب والمؤامرات التي تستهدف اطراف هذا المحوربالغاية المركزية وهي فرض الاستسلام للهيمنة وتكريس الاعتراف بالكيان الصهيوني والتخلص من حركات المقاومة.

ثانيا حقائق الصراع جميعها تؤكد مركزية قضية تحرير فلسطين وارتباطها العضوي بكل ما تعيشه المنطقة من اهوال سواء عبر إطلاق التوحش التكفيري وإرهابه الدموي لخوض حروب بالوكالة يقودها الأميركيون من الخلف او من خلال الغزو العسكري المباشر وما استهداف الدولة السورية الوطنية المقاومة وإيران سوى دليل عملي على تلك الحقيقة وهتان الدولتان ساهمتا منذ عقود في احتضان ودعم حركات المقاومة الفلسطينية واللبنانية واستنزاف العدو الصهيوني ويعود لسورية الفضل الرئيسي في منع قيام واقع عربي رسمي يكرس تصفية قضية فلسطين فمن غير توقيع دمشق لايمكن تحقيق تلك الغاية وهذا ما اعتبره السيد نصرالله الهدف المركزي في الحرب على سورية والأدلة اكثر من ان تعد او تحصى أبسطها الدور الصهيوني المباشر في تلك الحرب وأدلها حجم التآمر العربي الرجعي ضد سورية بتوجيه اميركي صهيوني.

ثالثا بواقعية وتواضع قدم السيد نصرالله عرضا لعلامات الصمود التي تؤكد ان محور المقاومة صمد وأفشل الخطط المعادية وشرع ينتقل إلى الهجوم المعاكس وهذا ما تبينه مؤشرات التحولات الميدانية في سورية ووقائع الصعود الإيراني وتقهقر عصابات الإرهاب والتكفير في سورية والعراق امام الإرادة الشعبية والتصميم على القتال وحيث لعب الدعم الإيراني دورا حاسما ومهما في سياق التصدي للتكفير الإرهابي الذي شدد السيد على مصدره السعودي عقائديا وسياسيا وهي حقيقة يعترف بها شركاء المملكة في تصنيع القاعدة وداعش من المسؤولين الأميركيين وأهم الاعترافات صدرت كما نوه قائد المقاومة عن الرئيس الأميركي نفسه عندما كان مرشحا رئاسيا.

رابعا في حصيلة التقرير السنوي أن محور المقاومة صمد ويتقدم إلى انتصارات كبرى وهو تمدد بدلا من التراجع والتقهقر ويزداد قوة وصلابة عكس ما هدف إليه المخططون الأميركيون والصهاينة.

تلك هي الحقيقة الساطعة التي زفها خطاب السيد نصرالله بكل وضوح من خلال التحولات العراقية واليمنية وحيث قضية فلسطين عنوان حاسم لالتزام قطاعات شعبية عريضة رفعت أعلام فلسطين وخرجت في مسيرات الاحتفال بيوم القدس والتعبير العملي عن ذلك ساقه السيد في خلاصة مهمة وهي انه في وجه أي حرب صهيونية محتملة على سورية او لبنان قد تفتح اجواء المنطقة لعشرات آلاف المقاتلين من اليمن والعراق وإيران وأفغانستان وباكستان وهذه رسالة ردعية ذات مغزى للكيان الصهيوني وللولايات المتحدة والحكومات الرجعية التابعة.